بها وقرا علي برهان الدين الصفاقسي المالكي واخيه وبرع في الطلب والرواية وكان يجيد الخطين ثم قفل ورجع سنة خمس وثلاثين الي المغرب ولقي السلطان ابا الحسن بمكانه من حصار تلمسان وقد شيد بالعباد مسجدا عظيما وكان عمه محمد بن مرزوق خطيبا به علي عادتهم بالعباد وتوفي فولاه السلطان خطابة ذلك المسجد مكان عمه وسمعه يخطب علي المنبر ويشيد بذكره والثنا عليه فخلي بعينه واختصه وقربه وهو مع ذلك يلازم مجلس الشيخين ابني الامام ويأخذ نفسه بلقاء الفضلا والاكابر والاخذ عنهم والسلطان في كل يوم يزيد ترتيبه وحضر معه واقعة طريف التي كان فيها تمحيص المسلمين فكان يستعمله في السفارة عنه الي صاحب الاندلس ثم سفر عنه بعد ان ملك افريقية الي ادفونش ملك قشتالة في تقرير الصلح واستنقاذ ابنه ابي عمر تاشفين كان اسيرا يومئذ منذ واقعة طريف فغاب في تلك السفارة عن واقعة القيروان ورجع بابي تاشفين مع طائفة من زعما النصرانية جاءوا في السفارة عن ملكهم ولقيهم خبر واقعة القيروان بقسنطينة من بلاد افريقية وبها عامل السلطان وحاميته فثار اهل قسنطينة بهم جميعا ونهبوهم وخطبوا للفضل بن السلطان ابي يحيى واجابوا دعوة الموحدين واستدعوه فجا اليهم وملك البلد وانطلق ابن مرزوق عائدا الي المغرب مع جماعة من الاعيان والتجار والسفرا اعيان الملوك ووفد علي السلطان ابي عنان بفاس مع امه حظية ابي الحسن وابنته كانت راحلة اليه فادركها الخبر بقسنطينة وحضرت الهيعة واتصل بها الخبر بتوثب ابنها ابي عنان علي ملك ابيه واستبداده علي فاس فرجعت اليه وابن مرزوق في خدمتها طلبا للحظ في تلمسان فسرحوه اليها واقام بالعباد مكان سلفه وعلي تلمسان يومئذ ابو سعيد عثمان بن عبد الرحمن بن يحيي بن يغمراسن بن زيان قد بايع له قبيلة بنو عبد الواد بعد واقعة القيروان بتونس وانتقوا يومئذ بما صار للعصبية لما مرت احبادهم وانصرفوا الي تلمسان فوجدوا بها ابا سعيد عثمان بن جرار من بيت ملوكهم قد استعمله عليها السلطان ابو عنان عندما تقاضي علي ابيه ومسيره الي فاس فانتقض ابن جرار من بعده ودعا لنفسه وجا اليه عثمان بن عبد الرحمن ومعه اخوه ابو ثابت وقومهما فملكوا تلمسان من يد ابن جرار وحبسوه ثم قتلوه واستبد ابو سعيد بملك تلمسان واخوه ابو ثابت ردفه وركب السلطان ابو الحسن البحر من تونس وغرق اسطوله ونجا هو الي الجزاير فنزل بها واخذ في الحشد الي تلمسان فراي ابو سعيد ان يكف غربه عنهم بمواصلة تقع بينهما واختار لذلك الخطيب ابن مرزوق فاستدعاه واسر اليه بما يلقيه عنه للسلطان ابي الحسن وذهب لذلك علي طريق الصحرا واطلع ابو ثابت وقومهم علي الخبر فنكروه علي ابي سعيد وعاتبوه فانكر فبعثوا صغير بن عامر في اعتراض ابن مرزوق فجا به وحبسوه اياما ثم اجازوه البحر الي الاندلس فنزل علي السلطان ابي الحجاج بغرناطة وله اليه وسيلة منذ اجتماعه به بمجلس السلطان ابي الحسن بسبتة اثر واقعة طريف فرعي له ابو الحجاج ذمة تلك المعرفة وادناه واستعمله في الخطابة بجامعه الاعظم فلم يزل خطيبه الي ان استدعاه السلطان ابو عنان سنة اربع وخمسين بعد مهلك ابيه واستيلائه علي تلمسان واعمالها فقدم عليه ورعي له وسائله وانتظم في اكابر اهل مجلسه وكان يقرا الكتاب بين يديه في مجلسه العلمي ويدرس في نوبته مع من يدرس في مجلسه منهم ثم بعثه الي تونس عام ملكها سنة

ثمان

ثمان وخمسين ليخطب له ابنة السلطان ابي يحيى فردت تلك الخطبة واختفت بتونس ووشي الي السلطان ابي عنان انه كان مطلعا علي مكانها فسخطه لذلك ورجع السلطان من قسنطينة فثار اهل تونس بمن كان بها من عماله وحاشيته واستقدموا ابا محمد بن تافراكين من المهدية فجا وملك البلد وركب القوم الاسطول ونزلوا بمراسي تلمسان واوعز السلطان باعتقال ابن مرزوق وخرج لذلك يحيى بن شعيب من مقدمي الجنادرة ببابه فلقيه بتلمسان فقيده هنالك وجا فاحضره السلطان ونعي محنته وقرعه ثم حبسه مدة واطلقه بين يدي مهلكه واضطربت الدولة بعد موت السلطان ابي عنان وبايع بنو مرين لبعض الاعياص من بني يعقوب بن عبد الحق وحاصروا البلد الجديد وبها ابنه السعيد ووزيره المستبد عليه الحسن بن عمر وكان السلطان ابو سالم بالاندلس غربه اليها اخوه السلطان ابو عنان مع بني عمه ولد السلطان ابي علي بعد وفاة السلطان ابي الحسن وحصلوا كلهم جميعا في قبضته فلما توفي اراد ابو سالم النهوض لملكه بالمغرب فمنعه رضوان القايم يومئذ بملك الاندلس مستبدا علي ابن السلطان ابي الحجاج فلحق هو باشبيلية من دار الحرب ونزل علي بطرة ملكهم يومئذ فهيا له السفين واجازه الي العدوة فنزل بجبل الصفيحة من بلاد غمارة وقام بدعوته بنو منير وبنو مسعر اهل ذلك الجبل منهم حتى تم امره واستولي علي ملكه في خبر طويل ذكرناه في اخبار دولتهم وكان ابن مرزوق قد داخله وهو بالاندلس واستخدم له وبقاوضه في اموره وربما كان يكاتبه وهو بجبل الصفيحة ويداخل زعما قومه في الاخذ بدعوته فلما ملك السلطان ابو سالم رعي له تلك الوسايل اجمع ورفعه علي الناس والقي عليه محبته وجعل زمام الامور بيده فوطي الناس عقبه وغشي اشراف الدولة بابه وصرفوا الوجوه اليه فمرضت لذلك قلوب اهل الدولة ونقموا علي السلطان وتربصوا به حتى توثب عمر بن عبد الله بالبلد الجديد وافترق الناس عن السلطان وقتله عمر بن عبد الله آخر سنة اثنتين وستين وحبس ابن مرزوق واغري به سلطانه الذي نصبه محمد بن ابي عبد الرحمن بن ابي الحسن فامتحنه واستصفاه ثم اطلقه بعد ان رام كثير من اهل الدولة قتله فمنعه منهم ولحق بتونس سنة اربع وستين ونزل علي السلطان ابي اسحاق وصاحب دولته المستبد عليه ابي محمد بن تافراكين فاكرموا نزله وولوه الخطابة بجامع الموحدين بتونس واقام بها الي ان هلك السلطان ابو اسحاق سنة سبعين وولي ابنه خالد وزحف السلطان ابو العباس حافد السلطان ابي يحيى من مقره بقسنطينة الي تونس فملكها وقتل خالدا سنة اثنتين وسبعين وكان ابن مرزوق يستريب منه لما كان يجتلب هو بفاس مع ابن عمه ابي عبد الله محمد صاحب بجاية ويوري عند السلطان ابي سالم عليه فعزله السلطان ابو العباس عن الخطبة بتونس فوجم لها واجمع الرحلة الي المشرق وسرحه السلطان فركب السفين ونزل بالاسكندرية ثم ارتحل الي القاهرة ولقي اهل العلم وامراء الدولة ونفقت بضايعه عندهم واوصلوه الي السلطان وهو يومئذ الاشرف فكان يحضر مجلسه وولوه الوظايف العلمية فكان ينتجع منها معاشه وكان الذي وصل حبله بالسلطان استاد داره محمد بن اقبغا آص لقيه اول قدومه فخلي بعينه واستظرف سجاياه ولم يزل مقيما بالقاهرة موفر الرتبة معروف الفضيلة مرشحا لقضاء المالكية ملازما للتدريس في وظايفه الي ان

Copyright © King Saud University